خطاب الكراهية ومواقع التواصل الاجتماعي

العوامل المؤثرة وآليات المواجهة

مقدمة

شهدت الأعوام السابقة انتشار لمواقع التواصل الاجتماعي وازدياد عدد مستخدميها، بعد أن أضحت متاحة لجميع الأفراد بمختلف أعمارهم، ومع سهولة الاشتراك بها وإنشاء حساب خاصل بكل من يريد ذلك، أصبح المجتمع أمام تحد أخلاقي وقانوني جديد، وهو مراعاة أن يكون محتوى ما ينشره أولئك الأشخاص متوافقًا مع القواعد القانونية الدولية التي تحمي حقوق الآخرين، والتي أكدت على عدم قانونية ممارسات التعدي أو التشهير أو إطلاق الأخبار الكاذبة بحق أي فرد سواء كان مشتركًا بتلك المواقع أم لا.

يعد فضاء الإنترنت من أكثر الوسائط سهولة لنشر أفكار التعصب، وممارسة الاضطهاد ضد الآخر، عبر شبكات التواصل الاجتماعي، الأمر الذي جعل اللجنة الأوروبية لمناهضة العنصرية والتعصب وغيرها من المنظمات الدولية تحذر من مخاطر تلك الممارسات، الأمر الذي نتج عنه مصادقة دول أعضاء الاتحاد الأوروبي، على بروتكولها الإضافي فيما يتعلق بتجريم الأفعال ذات الطبيعة العنصرية وكراهية الأجانب المرتكبة من خلال مواقع التواصل الاجتماعي.

كشفت السنوات القليلة الماضية تصاعد لخطاب الكراهية عبر مواقع التواصل الاجتماعي لا سيما بعد ما شهده العالم من تصاعد موجات اللجوء والهجرة بسبب بعد العوامل الداخلية للعديد من الدول كسوريا واليمن وبعض الدول الأفريقية، حيث يعاني ملايين اللاجئين المتواجدين في الدول الأوروبية لممارسات متعددة نتيجة لخطاب الكراهية الذي يبثه بعض الأفراد والحركات على مواقع التواصل الاجتماعي والتي كان لها الأثر الأكبر في تعميق المسافة بين مواطني تلك الدول واللاجئين، حتى وصل الأمر إلى الإعتداء على عوائل وأفراد من أعراق مختلفة نتيجة لتصاعد تلك الخطابات.

تسعى سكاي لاين الدولية عبر تقريرها تسليط الضوء على خطاب عبر مواقع التواصل الاجتماعي من خلال تعريفها لخطاب الكراهية والأسباب التي دعت إلى تصاعده مع ذكر بعض الأمثلة الحقيقية لدول عانت -ولا تزال- من تصاعد خطاب الكراهية وتأثيره على الأفراد. تؤكد سكاي لاين على أن عملية مواجهة خطاب الكراهية تحتاج إلى إرادة وجهود حقيقية مشتركة من كل الدول من خلال وضع برامج وقواعد قانونية تضمن نبذ ومعاقبة أي فرد يقوم به، مشددة على أهمية توفير الحماية الكاملة لكل من يتعرض لذلك الخطاب ومن بينها التوجه للقضاء للإقتضاء من المخالفين.

ماهية خطاب الكراهية

عرفت اليونسكو خطاب الكراهية " الخطاب الذي قد يتضمن عبارات تحرض على الكراهية خاصة -التمييز أو العشوائية أو العنف- حسب الوسط الذي يتم استهدافه والمجموعة الديموغرافية أو الاجتماعية، كما يشمل على سبيل المثال لا الحصر، الخطاب الذي يؤيد الأعمال العنيفة أو يهدد بارتكابها أو يشجعها".

هناك من قام بالتفريق بين مصطلح خطاب الكراهية من الناحية النظرية والإجرائية حيث تم تعريف خطاب الكراهية نظريًا بأنه: كل كلامٍ يثير مشاعر الكره نحو مكوّنٍ أو أكثر من مكونات المجتمع، وينادي ضمنًا بإقصاء أفراده بالطرد أو الإفناء أو بتقليص الحقوق، ومعاملتهم كمواطنين من درجة أقل، كما يحوي هذا الخطاب، ضمناً أو علناً.

ويعرف اجرائيًا أي من الناحية التطبيقية على أنه " أي محتوى يشمل التعدي على اشخاص بناء على عرقهم ودينهم وجنسهم وانتمائهم الوطني واعاقتهم ومرضهم". ووصف خطاب الكراهية أيضًا بأنه الخطاب المتضمن بعض العبارات العنصرية الموجه للأقليات والشعوب الأصلية.

برزت مشكلة رئيسية في محاولة التفرقة بين مفهوم خطاب الكراهية وتشابكه مع حرية التعبير، بسبب تلاقي المفهومين في بعض النقاط، إلا أن ما يميز لغة خطاب الكراهية أنها لغة انفعالية، فبحسب مبادئ "كامدن" -الخاصة بحرية الرأي والتعبير- فإن الكراهية هي حالة ذهنية تتسم بانفعالات حادة وغير عقلانية من العداء والاحتقار تجاه شخص أو مجموعة من الأفراد.

وترتكز مبادئ "كامدن" حول حرية التعبير والمساواة على أن حرية التعبير والمساواة هي حقوق جوهرية وأساسية، وأن حرية التعبير والمساواة هي حقوق كاملة لبعضها البعض تلعب دوراً حيوياً في حماية كرامة الإنسان وتضمن الديمقراطية وتعزيز السلم والأمن الدوليين.

انطلاقا من ذلك، يمكن أن نعرف خطاب الكراهية بأنه " خطاب عدائي صادر من أفراد ومجموعات، ويوظف في وسائل النشر والإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي لتحقيق أهداف ومصالح ذات طابع عدائي".

حرية الرأي والتعبير وخطاب الكراهية

هناك خلط كبير بين خطاب الكراهية وحرية التعبير، ففي حين يعتبر البعض خطاب الكراهية حرًا في النقد وحرية التعبير، إلا أن الكثيرين يعتبرونه خطابًا يعبر عن الشر والعنف والعنصرية والهجوم والتشهير.

تشير "سكاي لاين" إلى أن مفهوم "خاطب الكراهية" في مواقع التواصل الاجتماعي له عدة معاني وليس له تعريف مجمع عليه دوليًا. إلا أن التوصية السياسة العامة الصادرة عن المفوضية الأوروبية لمناهضة العنصرية والتعصب (ECRI) الصادرة في 8 ديسمبر 2015 ، ذكرت في تعريفها لخطاب الكراهية عبر مواقع التواصل الاجتماعي بأنه " الدعوة أو الترويج أو التحريض على تشويه صورة شخص أو مجموعة من الأشخاص أو كراهية أو تشويه سمعتهم ، وأي تحرش أو إهانة ، القوالب النمطية السلبية أو الوصم أو التهديد لمثل هذا الشخص أو الأشخاص وأي تبرير لجميع أشكال التعبير هذه ، على أساس "العرق" أو اللون أو اللغة أو الدين أو المعتقد أو الجنسية أو الأصل القومي أو العرقي ، وكذلك النسب أو العمر، الإعاقة والجنس والهوية الجنسية والتوجه الجنسي وغيرها من الخصائص أو الحالة".

أما حرية التعبير فهي قيمة مطلقة في أي ديمقراطية، سواء بالنسبة للجمهور أو لوسائل الإعلام، مع التأكيد على عدم مجاوزة تلك القيمة المطلقة لحقوق الآخرين في حرية تعبيرهم عن آرائهم دون النظر إلى العرق أو الدين أو اللون أو الدولة.

قد يتلاقى مفهوم خطاب الكراهية وحرية الرأي والتعبير في إفصاح الأفراد والجماعات عما يجول في عقولهم من أفكار ومبادئ في قضية معينة سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو حتى رياضية لكن تلك الأفكار عند ترجمتها على أرض الواقع من خلال الخطاب المنشور يجب أن تتم وفق المعايير الأساسية التي ذكرناها سابقًا من وجوب احترام حرية وآراء الآخرين وعدم جواز استناد أي خطاب على عبارات جارحة أو هجوم عرقي أو مذهبي.

أسباب خطاب الكراهية

لا توجد أسباب ثابتة يمكن إرجاعها لخطاب الكراهية إلا أن "سكاي لاين" قامت برصد العديد من العوامل التي ساعدت في انتشار خطاب الكراهية في السنوات الأخيرة وهي:

- غياب ثقافة حرية الرأي والتعبير في العديد من المجتمعات والتعريف بها وحدودها لا سيما الممارسات التي تعتبر تعدٍ على حقوق الآخرين.
- غياب ثقافة تقبل الآخر باختلافاته وأرائه، وضعف المصادر المحايدة التي تقدم المعلومة الصحيحة، وبقاء الفرد رهين الأحداث السياسية والتاريخية المرتبطة بقضية ما، إضافة لدور وسائل الإعلام غير المهنية التي تحفز الفرد في بناء موقف على أسس غير سليمة.
- ضعف الدور الحكومي في التعريف الواضح بمكونات المجتمع من كافة الطوائف وإفتقاد الخطط الممنهجة لغرس الجوانب الإيجابية لهذه المكونات في الأجيال.
- التعصب الديني، والفراغ الفكري والثقافي لدى العديد من المجتمعات نتيجة لإنعدام الرؤية المستقبلية والإحباط الدائم، بسبب المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والأسرية والبطالة لتلك المجتمعات.
- تسويق بعض الأحداث الفردية خاصة في المجتمعات الأوروبية التي يتواجد بها طوائف دينية مختلفة سواء كانوا مواطنيين أو مهاجرين عبر تركيز مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي على بعض الإعتداءات الفردية التي تتم من أولئك الأشخاص وإستغلال تلك الأحداث في بث خطاب الكراهية الديني تجاه طائفة محددة.

مواقع التواصل الاجتماعي

أدى التقدم الهائل في تكنولوجيا الاتصال إلى إنشاء نوع من التواصل الاجتماعي بين الأفراد في فضاء إلكتروني إفتراضي، عمل على إحداث تغيير في علاقات الأفراد الاجتماعية وأشكال تفاعلهم وأساليب تواصلهم وسمي هذا النوع من التواصل بشبكات التواصل الاجتماعي.

كان لتلك المنصات والشبكات الدور الأكبر في تقريب المسافات بين الأفراد وإلغاء الحدود والتعرف على الثقافات والأفكار المختلفة من خلال عدة مواقع رائجة منها: فيسبوك وتويتر وإنستجرام ويوتيوب وغيرها.

يتم تعريف مواقع التواصل الاجتماعي على أنها : تجمعات اجتماعية تظهر عبر شبكة الإنترنت عندما يدخل عدد كاف من الناس في مناقشات عبر فترة كافية من الزمن، يجمع بينهم شعور إنساني كاف، بحيث يشكلون مواقع للعلاقات الشخصية عبر الفضاء الالكتروني.

أضحت مواقع التواصل الاجتماعي أحد أهم المنصات التي توفر للفرد المساحة للتعبيرعن آرائه ومعتقداته وفي كثير من الأحيان انتقاداته، كما يستخدمها الأفراد لنشر الأخبار والأداء بشكل مكتوب أو مسموع أو مرئي متعدد الوسائط.

كان لاعتماد الأفراد على مواقع التواصل الاجتماعي كمصدر للأخبار ظهور مصطلح الإعلام الجديد أو البديل والذي يعني إستقاء الأفراد الأخبار والأحداث اليومية من مصادر بديلة عن الصحف أو القنوات التلفزيونية.

هذا الأمر فتح المجال أمام أفراد وجماعات لإستغلال هذا الفضاء الواسع لنشر خطاب الكراهية والتحريض على العنف بشكل مدروس ومنظم وفي كثير من الأحيان عشوائي يقوم على أسس تحقق أهداف ومصالح الجهات التي تقوم بنشر تلك الأخبار والخطابات لأغراض سياسية وإجتماعية متعددة.

دور مواقع وسائل التواصل الاجتماعي في نشر خطاب الكراهية

يمكن القول بأن تأثير شبكات التواصل الاجتماعي – ومن أهمّها فيس بوك وتويتر ليس محصورًا بالجانب الاجتماعي والاقتصادي فقط، غير أن تلك المواقع أضحت مؤخرًا تلعب دورًا أساسيا في التأثير السياسي والتعبئة الجماهيرية، وخلق مناخ سياسي ضاغط، وثورات عارمة، كما حدث في تونس ومصر وليبيا واليمن وسوريا في أيام ثورات الربيع العربي التي أسقطت حكاما شموليين كانوا في سدة الحكم لمدة ثلاثين عاما وفي بعض الأحيان أربعين عاما، وساهمت تلك الشبكات في تحشيد المتظاهرين وتعبئتهم.

ورغم أن مواقع التواصل الاجتماعي لعبت دوراً أساسيًا في التفاعل مع الآخرين والتغيير الإيجابي والاستفادة من تجارب وخبرات الآخرين، فإن التأثير السلبي بدأ يظهر دوره في مواقع التواصل الاجتماعي شيئا فشيئا لاسيما في نشر الثقافات السيئة وبث الكراهية والطائفية والنزاعات المجتمعية القائمة على التفريق العنصري والديني وغيرها من الأمور السلبية.

تم الإبلاغ عن حوادث العنف في كل دول العالم، حيث تتواصل معظم مجتمعات العالم عبر منصات التواصل الاجتماعي، لا سيما موقع الذي "فيسبوك" الذي ينشط حوالي ثلث سكان العالم على منصة منصته.

يقول العديد من الخبراء، مع ازدياد عدد الأشخاص الذين ينتقلون على الإنترنت، فإن الأفراد الذين يميلون إلى العنصرية، أو كره النساء، أو رهاب المثلية، قد وجدوا نطاقات يمكنهم تعزيز وجهات نظرهم وحثهم على العنف. حيث توفر منصات التواصل الاجتماعي للجهات الفاعلة العنيفة الفرصة في الإفصاح عن أعمالهم.

مواقع التواصل الاجتماعي.. عوامل مساعدة

تشير "سكاي لاين" إلى وجود بعض العوامل المشتركة التي تساعد الأفراد والجهات في توجيه خطابات الكراهية للعديد من الأشخاص عبر مواقع التواصل الاجتماعي ومن تلك العوامل ما يلي:

1- كون منصات وسائل التواصل الاجتماعي غير منظمة إلى حد كبير، الأمر الذي يعني عدم ضبط تلك الوسائل بمحددات واضحة للنشر والتواصل لا سيما خطاب الكراهية.

2- سهولة إنشاء الحسابات الوهمية، الأمر الذي يساعد العديد من الجهات والأفراد توجيه خطابات الكراهية على تلك المنصات، مستفيدين من عدم إمكانية معرفتهم وملاحقتهم قانونيًا.

3- عالمية تلك الوسائل وسهولة التواصل من خلالها أعطى عشرات المستخدمين الدافع نشر أفكارهم المتطرفة التي تساعد على تحفيز مشاعر الكراهية والتفرقة لبعض المتلقين من الجمهور القابل لحمل الأفكار المتطرفة .

خطاب الكراهية في بعض الدول

- **في الولايات المتحدة:** تم توثيق عدة هجمات لفرق التفوق الأبيض –فرق أنشأت على أساس عنصري - على مناطق سكن الأشخاص أصحاب البشرة السوداء. فعلى سبيل المثال أثبت التحقيقات أن منفذ إطلاق النار في كنيسة "تشارلستون" حزيران/ يونيو 2015 والذي أسفر عن قتل تسعة رجال سود، انخرط في عملية تعليم ذاتية على الإنترنت دفعته إلى الاعتقاد بأن الهدف من التفوق الأبيض يوجب عملًا عنفيًا.
- **في ميانمار:** يعمد القادة العسكريون والقوميون البوذيون إلى استخدام وسائل التواصل الاجتماعي لإهانة أقلية الروهينغا المسلمة، قبل وأثناء حملات التطهير العرقي، والذين يشكلون 2 % من مجموع السكان. قالت بعثة تقصي الحقائق التابعة للأمم المتحدة التي

أرسلت للوقوف على أثار تنامي خطاب الكراهية ضد مسلمي الروهينغا " لقد كان فيسبوك أداة فاعلة لأولئك الذين يسعون لنشر الكراهية".

- **الهند:** ظهرت أنواع من العنف الطائفي، نشأت في كثير من الحالات بسبب الشائعات على مجموعات "واتساب" منذ وصول حزب بهاراتيا جاناتا الهندوسي القومي إلى السلطة في عام 2014.
- **في ألمانيا:** أظهر الدراسات وجود رابط فعلي بين منشورات "فيسبوك" المعادية للاجئين عن طريق حزب "البديل الألماني" المتطرف والهجمات على اللاجئين. ففي دراسة نشرها الباحثان "كارستن مولر" و "كارلو شوارز" لاحظا أن ازدياد الهجمات، مثل الحرق العمد أو الاعتداء، تبعت نتيجة المنشورات في ترويج الكراهية.
- **نيوزيلاندا:** كان شعار" الإستبدال العظيم " والذي يعني بأن الهوية الغربية والبيض تحت الحصار؛ بسبب موجات الهجرة الهائلة من البلدان غير الأوروبية وغير البيضاء، الدور الأكبر في تعميق الخطاب العنصري في العديد من الدول الأوروبية ومنها نيوزيلاندا التي شهدت قيام أحد الأشخاص المتعصبين للهوية الأوروبية، بقتل أكثر من 49 شخص كانوا متواجدين في مسجدين أثناء تواجدهم لأداء صلاة الجمعة بتاريخ 15 مارس/أذار 2019، حيث قام مطلق النار ببث هجومه على موقع يوتيوب.
- **سريلانكا**: شهدت شائعات منتشرة على الإنترنت، استهدفت أقلية "التاميل" المسلمة، ففي خلال موجة العنف في آذار/ مارس 2018، منعت الحكومة الوصول إلى فيسبوك وواتساب، إضافة إلى تطبيق فايبر، لمدة أسبوع، قائلة إن فيسبوك لم يكن مستجيبًا بما فيه الكفاية خلال حالة الطوارئ.

اللجوء وخطاب الكراهية

ينتشر خطاب الكراهية في المجتمعات غير المستقرة التي تعاني من انقسامات، إضافة للدول المستقبلة للاجئين والمهاجرين. أدت موجات اللجوء والهجرة المتكررة إلى تصاعد خطاب الكراهية ضدهم، حيث يستغل عشرات المستخدمين وسائل التواصل الاجتماعي كأحد أهم المنصات الرئيسية في توجيه رسائل معادية للمهاجرين واللاجئين.

كما يستفيد بعض المنتقدين لسياسة الهجرة واللجوء من مواقع التواصل الاجتماعي من خلال تشكيل وتوحيد الحركات والشبكات المعادية للمهاجرين، حيث يحولها بعض المستخدمين إلى مساحة يمكنهم من خلالها نشر أفكارهم المتطرفة ونقلها لمستخدمين آخرين يؤيدوهم في تلك الأفكار.

تلعب الحكومات ورجال السياسة أيضًا دورًا في تنامي خطاب الكراهية عبر استخدامه من قبل أولئك السياسيين في الانتخابات من خلال التحريض على اللاجئين كوسيلة سهلة لتقديم حلول للمشاكل المعقدة مثل البطالة، وإسناد المشكلات المعيشية في ضعف فرص العمل وتراجع الأداء الاقتصادي للمهاجرين واللاجئين، الأمر الذي أدى –ولا زال- إلى تصاعد دعوات ترحيلهم كما حصل في لبنان على سبيل المثال والذي استقبل قرابة مليون ونصف لاجئ سوري ، حيث رُصد تصاعد خطاب الكراهية ضد السوريين، والذي امتد من الأمور السياسية إلى الحياة الاجتماعية والثقافية، وذلك بتأثير تراكمات تاريخية بين البلدين وخطاب عنصري لبعض السياسيين بمشاركة وسائل الإعلام بالتحريض ونشر معلومات كاذبة تعزز النظرة الدونية للاجئ السوري، متسغلين في ذلك الأوضاع الاقتصادية والسياسية الصعبة التي تمر بها البلاد لحشد الآراء والجماهير ضد اللاجئين لأهداف سياسية بحتة.

آليات مواجهة خطاب الكراهية

- زيادة الوعي بالحقوق السياسية والاجتماعية والثقافية للأفراد والجماعات، بما في ذلك حرية التعبير، والحدود التي يجب مراعاتها أثناء ممارسة حرية الحق في التعبير.
- توعية الأفراد بأهمية احترام التعددية وبالمخاطر التي يشكلها خطاب الكراهية.
- تشكيل لجان استجابة ومتابعة وطنية لرصد خطاب الكراهية وأشكال التحريض على العنف الأخرى.
- تشجع الضحايا والشهود على الإبلاغ عن الجرائم المتعلقة بخطاب الكراهية.
- تقديم الدعم النفسي والقانوني للأشخاص المستهدفين بخطاب الكراهية.
- تعزيز التنظيم الذاتي للمؤسسات العامة والخاصة بما في ذلك الهيئات المنتخبة، والأحزاب السياسية، والمؤسسات التعليمية من خلال اعتماد مدونات قواعد السلوك تنص على عقوبات في حال خرق أحكامها.

- وضع حد للإفلات من العقاب على جرائم الكراهية وإيقاع المسئولية الجنائية على مرتكبي تلك المخالفة من خلال النص على عقوبات صريحة وواضحة يتم تضمينها في قانون العقوبات للدول.

الخاتمة

تؤكد منظمة "سكاي لاين" الدولية لحقوق الإنسان في نهاية تقريرها على أن تصاعد خطاب الكراهية بين أفراد المجتمع الواحد أو حتى بشكل دولي كما رأيناه في الدول المستضيفة للاجئين والمهاجرين أمر مقلق وله تبعات خطيرة لا يمكن إغفالها ، وبالتالي يقع على عاتق الدول العديد من المهام الأساسية بدءًا من إعداد خطط مدروسة وبرامج تدريبية واضحة تتناسب مع كافة الأعمار والتي يجب أن تسعى من خلالها للتعريف بحرية الرأي والتعبير ومحدداته ومخاطر خطاب الكراهية وكيفية مواجهته، إضافة لدور تلك الدول في تشكيل لجان متخصصة في رصد وتوثيق أي إنتهاك متعلق بخطاب الكراهية ودعم الأشخاص الذين يتعرضوا لأي شكل من أشكال ذلك الخطاب للدعم النفسي والقانوني ومساعدهم بالإقتضاء أمام المحاكم وتقديم المخالفين للمحاكمات مع ضرورة التأكيد على أهمية تضمين العقوبات الرادعة في قوانين تلك الدول بما يتناسب مع حجم الضرر الذي يسببه خطاب الكراهية.

كما أن المجتمع الدولي وأجهزته الأممية وفي مقدمتها " الأمم المتحدة" مطالبة بجهود أكبر في مواجهة خطاب الكراهية بين الدول لا سيما الخطاب الموجه ضد اللاجئين والمهاجرين عبر تقديم الدعم القانوني لتلك الفئات الهشة وإصدار اتفاقية متخصصة بأشكال خطاب الكراهية عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

يبقى الدور الرئيسي على مواقع التواصل الاجتماعي في تحديد سياساتها الصارمة تجاه ما يبث عبر منصاتها من ضرورة تفعيل الرقابة الحقيقية على المحتويات التي تشجع على نشر الكراهية مع مراعاة حماية حقوق الأشخاص بالتعبير عن آرائهم وقصر إجراءات تلك المواقع تجاه الأفكار التي تحمل دعوة على ممارسة العنف بأحد أشكاله أو المحتوى الذي يحمل إهانات عنصرية وألفاظ تهاجم أي فرد من الأفراد.